الأستاذة: تاوريريت نبيلة

السنة ثانية دراسات لغوية

مقياس النقد الأدبي المعاصر

المحاضرة الثالثة: النقد الأسلوبي

1- مفهوم الأسلوبية: La stylistique

تعد الأسلوبية من أهم المناهج النقدية المعاصرة، و هي تقوم على مقاربة النص وتفحص أدواته أو آلياته و تشكيلاته الفنية، لذا فقد تميزت عن بقية المناهج النقدية بتناولها النص الأدبي بوصفه رسالة لغوية، و ذلك بتحليل نسيجه اللغوي و الكشف عن بنياته.

جاء في (لسان العرب) أن:"كل طريق ممتد هو أسلوب... و الأسلوب الطريق و الوجه و المذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء... و الأسلوب بالضم، الفن يقال: أخذ فلان في أساليب من القول؛ أي أفانين منه " [1]، كما ورد في (القاموس المحيط) بمعنى الطريق [2] .

إن كلمة أسلوب style التي اشتق منها stylistics بالإنجليزية و stylistique بالفرنسية تستخدم غالبا للإشارة إلى عدد من الأشكال المختلفة للغة، و "ترجع كلمة style إلى الكلمة اللاتينية stilus التي تعني الريشة أو القلم، أو أداة للكتابة" [3]، كما تعني كذلك (الأزميل) ، أو (المنقاش) للحفر والكتابة، كان اللاتين يستعملونها مجازا للدلالة على شكلية الحفر، أو شكلية الكتابة، ثم مع مرور الزمن اكتسبت دلالتها الاصطلاحية، البلاغية والأسلوبية، وصارت تدل على الطريقة الخاصة للكاتب في التعبير[4].

هذا و قد استقرت الترجمة العربية على دال مركب جذره (أسلوب) style ولاحقته (يِ ه) ique، و بهذا فهو مدلول إنساني ذاتي، يمكن تفكيك مدلوليه بما يطابق عبارة علم الأسلوب science de style، لذلك تعرف الأسلوبية بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب [5].

إلى جانب ذلك شهدت الأسلوبية تعريفات عدة، و لعل اللغوي الفرنسي بوفون Buffon أول من عرف الأسلوب تعريفا نال قسطا كبيرا من الشهرة و الانتشار، و حظا أكبر من الفهم الذي تباين حينا و تطابق حينا آخر حيث قال: " الأسلوب هو الشخص نفسه[6] Le style est l'homme même ، كما عرفه بيار جيرو Pierre Guiraut بأنه: " طريقة في الكتابة "[7].

و هناك من عرّف الأسلوب بالاستناد إلى خاصية الانزياح ومنهم بول فاليري Paul Valery الذي يقول "الأسلوب انزياح بالنسبة للقواعد"[8]، أما جان كوهين Jean Cohen

---

[1] - ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، المادة: سلب، ص473.

[2] - ينظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، المادة: سلب، ص111.

[3] - فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004، ص39 .

[4] - ينظر:عدنان بن ذريل: النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص43.

[5] - ينظر: عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977، ص30.

[6] - فيلي ساندرس: نحو نظرية أسلوبية لسانية،:ص 29.

[7] - بيار جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ترجمه: منذر عياشي، مركز الإنماء العربي، لبنان، دت، ص5.

[8] - بيار جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ص 86.

فيربط بين الأسلوبية كعلم و بين لبنة من لبناته و هي الانزياح إذ يقول: " الأسلوبية هي علم الانزياحات اللغوية "[1].

و للإشارة فإن مصطلح الانزياح عرف بأسماء أخرى مرادفة له كالعدول و التجاوز والانحراف و التوسع و الاتساع... و ما إلى ذلك من المصطلحات الأخرى التي أسهمت في بناء الصرح الأسلوبي.

و بما أن ظاهرة الانزياح تقوم أساسا على الخرق فإنها تخرق القاعدة اللسانية القائلة بأن لكل دال مدلول و احد، فبوساطة الانزياح يتحول الدال الواحد إلى حقل من المدلولات، وبهذا ينشأ قاسم مشترك بين حقل الأسلوبية و علم الدلالة في القيام على مبدأين هما الاختيار والتأليف، و ذلك بهدف إحداث الأثر في نفسية المتلقي من جرّاء نسج الكلمات و تأليفها تأليفا جديدا يخضع إلى مبدأ الاختيار[2].

2- الأسلوبية والبلاغة:

تجددت البلاغة منذ بداية القرن التاسع عشر فكانت عاملا في وجود الأسلوبية(علم الأسلوب)، وهي علم للتعبير وعلم للأدب في آن واحد، وهناك من عدها (أي الأسلوبية) بلاغة حديثة ونخص بالذكر بيار جيرو إذ يرى أن البلاغة في خطوطها العريضة فن للكتابة وفن للتأليف في الوقت نفسه، "إنها فن لغوي وفن أدبي، وهاتان سمتان قائمتان في الأسلوبية المعاصرة"[3]، ومن هنا كانت المقولة المعروفة: البلاغة هي أسلوبية القدماء وهي علم الأسلوب آنذاك.

وهناك من يرى أن الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثها الشرعي وعلى رأسهم عبد السلام المسدي إذ يقول: "وإذا تبينا مسلمات الباحثين والمنظرين وجدناها تقرر أن الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثها المباشر، معنى ذلك أن الأسلوبية قامت بديلا عن البلاغة...فالأسلوبية امتداد للبلاغة ونفي لها في نفس الوقت"[4].

أما فيما يخص طبائع التحديدات الإجرائية لكل من الأسلوبية و البلاغة، فإننا نسجلها فيما يلي:

1- تختلف نظرة الأسلوبية إلى النص عن مثيلتها البلاغة، في أن الأسلوبية تقر بثنائية الدال و المدلول وأن النص كيان لغوي واحد بدواله و مدلولاته، أما البلاغة فقد قامت على الفصل بين الشكل و المضمون.

2- البلاغة "علم معياري يرسل الأحكام التقييمية و يرمي إلى تعليم مادته و موضوعه هو بلاغة البيان، بينما تنفي الأسلوبية عن نفسها كل معيارية و تعزف عن إرسال الأحكام التقييمية بالمدح أو التهجين"[5].

---

[1] - جان كوهين:بنية اللغة الشعرية، ترجمه: محمد الولي و محمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص15.

[2] - ينظر: بشير تاوريريت: محاضرات في مناهج النقد المعاصر، دار الفجر للطباعة، قسنطينة، ط1، 2006، ص156.

[3] - بيار جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ص 16 .

[4] - عبد السلام المسدي:الأسلوبية والأسلوب،ص48.

[5] - عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 48، 49.

3- البلاغة تفكير صوري أما الأسلوبية تفكير وجودي.
4- يختص البحث البلاغي بالكلام البلاغي فقط، بينما التحليل الأسلوبي يشمل كل أجناس الكلام.
5- يمكن للأسلوبية أن تبحث ظواهر الأسلوب بشكل تزامني تعاقبي، أما البلاغة فلا تقوم بمثل هذا البحث في أغلب الأحيان.

3- اتجاهات الأسلوبية:

3-1- الأسلوبية التعبيرية (الوصفية):

و رائدها شارل بالي Charle Bally تلميذ دي سوسير، إذ يرى أن الأسلوبية "تدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية (العاطفية)، أي أنها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغويا، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية"[1].

و تهدف أسلوبية التعبير إلى دراسة القيم التعبيرية(اللغوية) الموجودة في الكلام، وهي تختلف عن الدرس البلاغي القديم في مقولة اللامتناهية،حيث تقف بشكل خاص أمام الكلام المنطوق لتبين العلاقة القائمة بين المحتوى الوجداني و الصورة التي جاء عليها الكلام[2].وهذا المضمون الوجداني للغة يشكل عند بالي موضوعا للأسلوبية التعبيرية، لكن دراسة الحالة الوجدانية التي تنعكس في ظرف من الظروف تبدو أقل من دراسات البنى اللسانية و قيمها التعبيرية عموما، ذلك لأن المقصود هو أسلوبية اللغة و ليس أسلوبية الكلام، و هذا ما يؤكده بيار جيرو بقوله: " فأنا عندما ينمى إلي وقوع حادث ما، أصرخ: يا للمسكين !. و نرى في هذا التعبير من وجهة نظر لسانية أمرين:

أ- النداء التعجبي المرتبط بالنبر.
ب- الحذف.

و تؤكد الأسلوبية أن التعجب و الحذف أداتان للتعبير عن الفعال يشير هنا إلى أن المقصود هو الشفقة، و أنها تبقى على مستوى التعبير"[3].

إن اهتمام بالي بالمحتوى العاطفي جعله لا يهتم بالجوانب الجمالية، و تركيزه على الكلام المنطوق صرفه عن الاهتمام بالأسلوب الأدبي، "و بذلك ظلت أسلوبية (بالي) هي أسلوبية اللغة و ليست أسلوبية الأدب"[4].

3-2- الأسلوبية البنيوية:

لم تتخذ الدراسة الأسلوبية مدارها المستقل عن الدراسات الأخرى إلا بعد ظهور الشكلانيين الروس، و كان لأعمال هؤلاء الأثر البالغ في إرساء هذه الأسلوبية، التي تعد مدّا مباشرا من اللسانيات البنيوية المصوغة ببراغ في العامين 1928، 1929 [5] التي تعتمد أساسا

---

(1) - بيار جيرو: الأسلوب و الأسلوبية،ص34.
(2) - محمد كريم الكواز: علم الأسلوب، مفاهيم و تطبيقات، جامعة السابع من إبريل، ليبيا، 1426، ص98.
(3) - بيار جيرو: الأسلوب و الأسلوبية ،ص 35.
(4) - موسى سامح ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، ص11.
(5) - ينظر: رومان جاكبسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم صالح و حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002

على دراسات دي سوسير، و امتدادا متطورا لأسلوبية بالي الوصفية، و كما هو معروف أن البنيوية تنظر "إلى الأعمال الأدبية باعتبارها نظما رمزية دلالية تقوم في الدرجة الأولى على مجموعة من العلاقات المتبادلة بين البنى الجزئية، و على العناصر المهيمنة على غيرها في العمل الأدبي"[1]، و لا يمكن أن يكون للعنصر فيها وجود فيزيولوجي أو سيكولوجي إلا في إطار البنية الكلية للنسق، و على هذا الأساس لا يمكن تعريف أي عنصر منفصل إلا من خلال علاقاته التقابلية و التضادية بالعناصر الأخرى في إطار بنية الكل.

هذا و يعد رومان جاكبسون رمزا من رموز هذا الاتجاه، حيث أقام نظرية التواصل من خلال عدة عناصر (مرسل، رسالة، مرجع، شيفرة، قناة، مرسل إليه). و تقترن بكل عنصر من هذه العناصر "وظيفة ."[2].

3-3- الأسلوبية الصوتية :

إن أول ما لاحظه جاكبسون على لغة الشعر ما فيها من موسيقى، فالبيت الشعري يقوم أساسا على تكرار المقاطع نفسها في كل دورة، وأن الشعر يميل إلى نموذج مقطعي متكرر في قوافي الأبيات، وتطرّق أيضا إلى المقاطع الطويلة والقصيرة، وتناوب التفعيلات الطويلة والقصيرة في الشعر الكمي، هذه الملاحظات في حقيقة الأمر هي النواة الحقيقية لما عرف تحت مسمى الأسلوبية الصوتية[3]

أما موضوعها فهو"دراسة الوحدات الصوتية والسياق الصوتي في النص الأدبي، وتفسير العلامات التي أدت إلى معان وإيحاءات وصور ساعدت على نقل الفكرة"[4]. كما تعتمد الأسلوبية الصوتية على مفهوم المتغيرات الصوتية الأسلوبية، فبقدر ما يكون للغة من حرية التصرف في بعض العناصر الصوتية للكلام بمقدار ما تستطيع أن توظف تلك العناصر لأهداف أسلوبية[5]. والأسلوبية الصوتية تهتم بثلاثة فروع:

أ- دراسة الأصوات المجردة.

ب- دراسة الإيقاع وتأثيره الجمالي في القصيدة.

ج- دراسة العلاقة بين الصوت والمعنى.

فحينما يكرر شاعر الأصوات المهموسة يؤدي إلى فكرة معينة عن موسيقاه الهادئة، وتكرار حرف الراء، وهو صوت تكراري أصلا يوحي بالحركة، كذلك فإن انتظام الجمل في البيت الشعري في نسق معين يؤدي إلى وضوح الإيقاع، واستخدام الشاعر بعض المحسنات اللفظية كالجناس والطباق والتكرار والترادف يؤدي إلى مزيد من الإتقان الصوتي الذي لا يؤثر في حسن الأسلوب فقط، ولكن يؤدي إلى قوة المعنى.

3-4- الأسلوبية الإحصائية:

---

(1) - صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة ، 1996، ص96.

(2) - نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، ج2، دار هومة للطباعة و النشر،الجزائر، 1997،ص225،226.

(3) - ينظر: إبراهيم خليل: في النقد والنقد الألسني، منشورات أمانة عمان الكبرى، الأردن، 2002، ص 141.

(4) - محمد صالح الضالع: الأسلوبية الصوتية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص12، 13.

(5) - ينظر: بيار جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ص39.

تهتم الأسلوبية الإحصائية بتتبع السمات الأسلوبية ومعدل تواترها وتكرارها في النص، كما تحاول الوصول إلى تحديد الملمح الأسلوبي للنص عن طريق الكم، وقوام عملها يكون بإحصاء العناصر اللغوية في النص، وكذلك مقارنة علاقات الكلمات وأنواعها في النص ثم مقارنة هذه العلاقات(الكمية) مع مثيلاتها في نصوص أخرى، و لابد للممارسة الإحصائية في التحليل الأسلوبي أن تؤدي إلى إجراء توظيفي يساعد في تفحص النص واستكناه حقيقته الأدبية لتخدم عملية النقد، و ذلك بتجاوز عقم الجداول الرقمية فلا تكون هذه الجداول مقصودة لذاتها[1].

و يرى محمد كريم الكواز في هذا السياق أن الدراسات الأسلوبية تستعين بالإحصاء في المجالات الآتية:

"أولا: المساعدة في اختيار العينات اختيارا دقيقا، بحيث تكون ممثلة للمجتمع المراد دراسته.

ثانيا: قياس معدلات كثافة الخصائص الأسلوبية عند كاتب معين أو في عمل معين، فإذا أردنا مثلا قياس كثافة الجمل الاسمية أو الفعلية في نص معين قمنا بحساب عدد مرات تكرارها ثم تقسيمها على عدد جمل النص.

ثالثا: قياس النسبة بين تكرار خاصة أسلوبية، وتكرار خاصة أخرى للمقارنة بينهما و يتم حساب النسبة بإحصاء عدد مرات تكرار الخاصية الأولى، وعدد مرات تكرار الخاصية الثانية في نص من النصوص، وقسمة حاصل جمع تكرار إحداهما على حاصل جمع تكرار الأخرى.

رابعا: قياس التوزيع الاحتمالي لخاصة أسلوبية معينة، فإذا أردنا مثلا حساب احتمال وقوع الاستفهام في حوار مجموعة من القصص، فنحن نتوقع ألا يكون التوزيع ثابتا في جميع القصص، و لكنه سيظهر على هيئة توزيع تكراري أي عدد ما"[2].

4- مبادئ و مستويات التحليل الأسلوبي:

تظهر الأسلوبية "المدلولات الجمالية في النص الأدبي من خلال الاهتمام بالعلاقة القائمة بين الصيغ التعبيرية، و علاقة هذه الصيغ بالمرسل و المتلقي، ويكون ذلك بالاعتماد على إحصاء الصيغ و معانيها و ألفاظها، و طريقة تركيبها، و الوظيفة التي يؤديها كل تركيب"[3].

و على ذلك "فإن الأسلوبية تقارب النص الشعري من أدنى مستوياته، و هو القيم الصوتية، مرورا بالصيغ الصرفية و الهياكل النحوية، وصولا إلى الدلالات الجزئية ثم المركبة و الكلية"[4].

هذا و يرى فتح الله أحمد سليمان أن أهمية التحليل الأسلوبي تكمن في الكشف عن المدلولات الجمالية في النص، و ذلك عن طريق النفاذ إلى مضمونه و تجزئة عناصره، وهذا

---

(1) - ينظر: فرحان بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص19.

(2) – المرجع نفسه، ص105، 106.

(3) - يوسف أبو العدوس:البلاغة و الأسلوبية، الأهلية للنشر و التوزيع، الأردن، ط1،1999 ،ص186.

(4) - عدنان حسين قاسم: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر و التوزيع-مدينة نصر.مصر، 2000،ص132.133.

التحليل يمكن أن يمهد الطريق للناقد و يمده بمعايير موضوعية يستطيع على أساسها ممارسة عمله النقدي و ترشيد أحكامه، ومن ثم قيامها على أسس منضبطة[1].

فالمحلل الأسلوبي يقوم برصد السمات الأسلوبية البارزة في النص، و التي تمارس تأثيرها المباشر على ذوقه النقدي حيث يعمد إلى إحصاء هذه البنى الأسلوبية ثم يقيس متوسط الانزياحات في النص على مستويات عدة، بدءا بالمستوى الصوتي فالتركيبي فالدلالي، و من دون نسيان معدل التكرار و تواتره في النص.

و في هذا الإطار يرى محمد كريم الكواز أن التحليل الأسلوبي يهتم بثلاثة عناصر جوهرية في العمل الأدبي و هي:

أ- العنصر اللغوي، إذ يعالج التحليل نصوصا قامت اللغة بوضعها.

ب- العنصر النفعي: الذي يؤدي إلى إدخال عناصر غير لغوية في عملية التحليل، كالمؤلف والقارئ، و الوقت التاريخي، و هدف النص الأدبي و غير ذلك.

ج- العنصر الجمالي الأدبي: و يكشف عن تأثير النص في القارئ.[2]

غير أن علماء الأسلوبية أجمعوا أن التحليل الأسلوبي يتم بتضافر مستويات ثلاث و هي:

أ- المستوى الصوتي: "و يتناول فيه الدارس ما في النص من مظاهر الإتقان الصوتي ومصادر الإيقاع فيه، و من ذلك، النغمة و النبرة و التكرار و الوزن، و ما يبثه المنشئ من توازن و تواز ينفذ إلى السمع أو الحس".[3]

ب- المستوى النحوي أو التركيبي: يقول عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله..."[4]. وهذا تأكيد على أهمية هذا المستوى، حيث يدرس أي الأنواع من التراكيب هي التي تغلب على النص، التركيب الفعلي أو الاسمي أو الخوالف، أو تغلب عليه الجمل القصيرة أو الطويلة أو المزدوجة ويدرس كذلك هذا المستوى الإعراب والعوامل النحوية، قواعد تركيب الجملة ، علاقاتها بما قبلها وما بعدها.

ج- المستوى الدلالي: ويهتم هذا المستوى بمعاني الألفاظ وما فيها من جوانب تؤثر في الأسلوب، كما يعنى بالتطور الدلالي للكلمة ويركز على دلالتها المعجمية وتصنيفها إلى حقول دلالية، ودراسة هذه التصنيفات ومعرفة أي نوع من الألفاظ هو الغالب.فالشاعر الرومانسي يغلب على ألفاظه أنها مستمدة من الطبيعة...ويدرس الناقد أيضا طبيعة هذه الألفاظ و ما تمثله من انزياحات في المعنى[5].

---

(1) - ينظر: فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية، مدخل نظري و دراسة تطبيقية، ص53.

(2) - ينظر: محمد كريم الكواز: علم الأسلوب مفاهيم و تطبيقات ، ص115.

(3)- إبراهيم خليل: في النقد و النقد الألسني، ص155.

(4)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز.شرح عبد المنعم خفاجي، دار الجيل،بيروت، ط1، 2004ص 97.

(5)- ينظر: إبراهيم خليل: في النقد و النقد الألسني، ص 156.